دانشگاه پیام‌نور

نصوص من الشعر و النثر فی العصرین المملوکی و العثمانی

دکتر محسن سیفی دکتر مصطفی جوانرودی

نصوص من الشعر و النثر فی العصرین المملوکی و العثمانی

دکتر محسن سیفی دکتر مصطفی جوانرودی

دانشگاه پیام‌نور ۱۷۹۲

گروه زبان و ادبیات عرب (۱۵/آ)

۱۷۹۲

(۱۵/آ)

دانشگاه پیام نور

نصوص من الشعر و النثر فی العصرین المملوکی و العثمانی

(رشتهٔ زبان و ادبیات عرب)

دکترمحسن سیفی دکتر مصطفی جوانرودی

بسم الله الرحمن الرحیم

پیشگفتار ناشر

کتاب‌های دانشگاه پیام نور حسب مورد و با توجه به شرایط مختلف یک درس در یک یا چند رشتهٔ دانشگاهی، به‌صورت کتاب درسی، متن آزمایشگاهی، فرادرسی، و کمک‌درسی چاپ می‌شوند.

کتاب درسی ثمرهٔ کوشش‌های علمی صاحب اثر است که براساس نیازهای درسی دانشجویان و سرفصل‌های مصوب تهیه و پس از داوری علمی، طراحی آموزشی، و ویرایش علمی در گروه‌های علمی و آموزشی، به چاپ می‌رسد. پس از چاپ ویرایش اول اثر، با نظرخواهی‌ها و داوری علمی مجدد و با دریافت نظرهای اصلاحی و متناسب با پیشرفت علوم و فناوری، صاحب اثر در کتاب تجدیدنظر می‌کند و ویرایش جدید کتاب با اعمال ویرایش زبانی و صوری جدید چاپ می‌شود.

متن آزمایشگاهی (م) راهنمایی است که دانشجویان با استفاده از آن و کمک استاد، کارهای عملی و آزمایشگاهی را انجام می‌دهند.

کتاب‌های فرادرسی (ف) و **کمک‌درسی** (ک) به منظور غنی‌تر کردن منابع درسی دانشگاهی تهیه و بر روی لوح فشرده تکثیر می‌شوند و یا در وبگاه دانشگاه قرارمی‌گیرند.

مدیریت تولید محتوا و تجهیزات آموزشی

الفهرست

الباب الأوّل: مقتطفات من دواوين أعلام الشّعراء في العصرين المملوكى و العثمانى ١
الدّرس الأوّل: «مدح الملک المنصور الثّاني» لشرف الدين الانصاري (٥٨٦-٦٦٢هـ) ٣
الدّرس الثّاني: «شوقي إلى بَرَدي» لشهاب الدّين التلعفري (٥٩٣-٦٧٥هـ) ٧
الدّرس الثّالث: «البردة» و «المحمّدية» لشرف الدّين البوصيري (٦٠٨-٦٩٥هـ.ق) ١١
الدّرس الرّابع: «فتح المرقب» و «دحر التّتار» للشهاب محمود (٦٤٤-٧٢٥هـ) ٢١
الدّرس الخامس: «لاتُخفِ ما صنعتْ بك الأشواقُ» و «لي من هواك بعيدُه و قريبُه» و مدح صاحبُ «حماة» للشّاب الظريف (٦٦١هـ -٦٨٨هـ) ٣١
الدّرس السّادس: «الرّماح العوالي» و « قِفي وَدّعينا» لصفي الدّين الحلّي (٦٧٧-٧٥٠هـ) ٤٣
الدّرس السّابع: «هناء و عزاء» لإبن نباته (٦٨٦-٧٦٧هـ) ٥٣
الدّرس الثّامن: «لامية» ابن الوردي (٦٨٩-٧٤٩هـ) ٥٩
الدّرس التّاسع: «رثاء دمشق» لبهاءالدين البهائي (ت ٨١٥هـ) ٦٥
الدّرس العاشر: مدح رسول الله (ص) لعائشة الباعونية (٨٦٥-٩١١هـ) ٧١
الدّرس الحادي عشر: «نهر بردى» و «طبيعة دمشق» لإبن النّقيب (١٠٤٨ - ١٠٨١ هـ) ٧٥

الباب الثّاني: نصوص مختارة لأعلام الكتّاب في العصرين المملوكى و العثمانى ٨٥
الدّرس الأوّل: «في نوادر العميان» لصلاح الدّين الصفديّ (٦٩٦–٧٦٤هـ) ٨٧
الدّرس الثّاني: نماذج من نثر شهاب الدين بن فضل الله (٧٠٠–٧٤٩هـ) ٩١
الدّرس الثّالث: «حكاية الطاعون الأعظم في دمشق» و «ذكر جبل قاسيون» و «حكاية مأتم إبن السّلطان» لإبن بطوطة (٧٠٤–٧٧٩هـ) ٩٧
الدّرس الرّابع: نماذج من كتاب «العبر» لإبن خلدون: (٧٣٢-٨٠٨هـ) ١٠٣
الدّرس الخامس: نماذج من نثر «صبح الأعشى في صناعة الإنشاء» للقلقشندى (٧٥٦-٨٢١هـ) ١٠٩
الإجابة ١١٩
قائمة المراجع ١٢١
المعجم ١٢٣

توطئة

يتناول هذا الكتاب في **بابه الأوّل** دراسة و تحليل مقتطفات شعرية لأعلام الشعراء في عصرين المملوكى و العثمانى ـ الحقبة المديدة التي تمتدّ من مطلع القرن السادس الهجري حتّى إستيلاء نابليون على مصر عام ١٢١٣هـ. - متضمّناً ترجمة هؤلاء الشّعراء الأفذاذ و أسباب إنشاد القصائد المختارة.

إعتمدنا في إختيار النّصوص على دواوين الشّعراء إضافة إلى كتاب «روائع الشعر المملوكي» لأنس بديوي و في ذكر مناسبات القصائد على دواوين الشّعراء و أهم المراجع المعنية بأدب العصرين كـ «الأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار» لجودت الرّكابي.

أمّا أسلوبنا في تحليل النّصوص، فقبل أن نبدأ بشرح البيت و بيان مفهومه مهّدنا الطّريق بكتابة موجزٍ عن «مناسبة القصيدة» لعلّنا نجعل المتلقّى خلال قرائته القصيدة في بيئة شبيهة بما عاشها الشاعر لدى إنشاد قصيدته فهذا الموجز يعرض غالباً أسباب و دوافع حرّضت الشاعر على أن يطلق عنان خياله و عاطفته و أن يسبک مضمرات ذهنه و مكنونات قلبه في قالب القصيدة.

ثمّ تطرّقنا في الخطوة الثانية إلى شرح لغوي لأهم المفردات و هي ما يصعب كشف معناه في النظرة الأولى بل يستلزم مراجعة المعاجم اللّغويّة و من ثمّ ذكرنا معنى البيت واضحاً بسيطاً ـ مهما امكن ـ حرصاً على أن يسهل على القارئ إدراک ما قصده الشّاعر معنى و جمالاً في الخطوة الثالثة.

أمّا الكتاب في **بابه الثاني** يقدّم مقطوفات نثرية من التراث النثري الجزيل الذاخر الذي ورثناه من أعلام الكتّاب في هذا العصر كـ «رحلة إبن بطوطة» و «صبح الأعشى

للقلقشندي» و «العبر لإبن خلدون» و لايخفى عليک مكانة هؤلاء الفحول من النثر العربي لما يحتوي عليه كتاباتهم من الوصف الدّقيق و إبداع النظريات.

هذا و ذيّلنا مختارات النثر شرح المفردات و المصطلحات الصعبة المنصوص عليها في المتن و لا يفوتنا أنّنا في إختيار النّصوص إبتعدنا كلّ البعد عن النّثر المتكلّف المملّ الشائع في تلک الحقبة الزمنية لإحتوائه على مرادفات و مضادات لغوية يعفّها القارئ.

و الجدير بالذّكر أنّنا تعمّدنا ترک الجوانب البلاغية و النّحوية في النصوص و نقترح على أستاذ المادّة عرضها في الحصة ليناقشها الطلبة.

و نحن نعترف أنّ هذه الصّفحات لا تزال تحتاج إلى التفصيل و التدقيق و لكنّنا نرجو أن تلقى بعض الأضواء على دروب أدب هذه الحقبة المديدة الّتي يكتنفها الغموض و لاتزال تفتقر إلى المزيد من العناية و الجهد والله وليّ الهدى و التّوفيق.

الدّكتور محسن سيفي
عضو الهيأة العلمية بجامعة «كاشان»

الدكتور مصطفى جوانرودي
عضو الهيأة العلمية بجامعة «پيام نور»

الباب الأوّل

مقتطفات من دواوين أعلام الشّعراء في العصرين المملوكى و العثمانى

ينبغي للطّالب بعد مطالعة الدروس الحادية عشرة لهذا الباب:

ـ أن يعرّف القصائد الشهيرة لفحول الشّعراء في العصرين المملوكي و العثماني.

ـ أن يعرف مناسبات القصائد المذكورة و أسباب إنشادها إضافة إلى الغرض الشعري فيها.

ـ أن يشرح المفردات و الألفاظ الصّعبة المتواجدة في نصّها.

ـ أن يعي مضامين الأبيات و يعبّر عنها بلغته.

ـ أن يجيب عن الأسئلة المطروحة إجابة كاملة صحيحة.

الدّرس الأوّل

«مدح الملک المنصور الثّاني» لشرف‌الدين الانصاري (۵۸۶-۶۶۲هـ)

هو عبدالعزيز بن محمد بن خلف الدمشقي، شاعر من شعراء حماة. لقب بالصاحب، و شيخ الشيوخ.

ولد سنة ۵۸۶هـ في حماة و سكنها و استكمل علومه فيها و سمع الحديث و تفقه و إتجه في الأدب فأتقنه. (الرّكابي، الأدب العربي من الإنحدار إلى الإزدهار، ص۱۵۴)

«صحب والده فزار جميع بلاد الإسلامية من بغداد و الشام و القاهرة و بعلبك و... تولي شرف‌الدين بعض المناسب و مدح الملك المنصور الأول و أصبح وزيره و شاعره. و بعد موت الملك المنصور أصبح وزير الملك المظفر الثاني و بعد موته أصبح من الأوصياء على الحكم حتى بلغ المنصور الثاني سنّ الرّشد و تربع على عرش حماة، فأصبح شرف‌الدين وزيره و مدبّر شؤونه.» (جودت الركابي، ص ۱۵۴)

كان الملك المنصور الثاني في مصر مع جنده و يطلب نجدة المظفر قطز الذي خرج على الفور لمجابهة جيوش التتار التي قد إكتسحت أرض الشام بعد سقوط بغداد، فكان الملك المنصور الثاني إلتقى بجيوشها في الوقعة الفاصلة بعين جالوت سنة ۶۹۵هـ. فولّى التتار الإدبار و عاد الملك المنصور إلى ملكه في حماة فأقبل عليه شاعره شرف‌الدين مادحاً مهنّئاً بقصيدةٍ مطلعها:

رُعتَ العِدي فَضَمنتَ ثلّ عروشها و لقيتَها فأخذتَ فلَّ جيوشِها

طبع ديوان شعره مجمع اللغة العربية بدمشق. توفي سنة ۶۶۲هـ / ۱۲۶۴م.

مناسبة القصيدة

أنشد شرف‌الدين الأنصاري هذه القصيدة يمدح فيها الملك المنصور الثاني الأيوبي صاحب «حماة» الذي كان مع جنده إلى جانب المظفر قطز في معركة (عين جالوت) سنة ٦٩٥هـ و إليک أبياتاً منها:

١. رُعتَ العِدي فَضَمِنتَ ثلَّ عروشِها و لقيتَها فأخذْتَ فلَّ جيوشها
٢. نازلتَ أملاكَ التتارِ فأُنزِلَت عَن فَحلِها قسراً و عَن إكديشِها
٣. فغدا لسيفِك في رقاب كُماتِها حَصدُ المناجِلِ في يَبِيسِ حَشِيشِها
٤. رَوَّيتَ أكبادَ القَنا بدمائِهم لَمّا أطالَ سِواك في تعطيشِها
٥. أقدَمتَ مُقتَحماً على نُشّابِها تكسو الجيادَ رياشَها مِن ريشِها
٦. دارت رَحَي الحربِ الزَّبونِ عليهمُ فغدتْ رؤوسُهُمُ حُطامَ جَرِيشها
٧. و طويتَ عن مِصر فسيحَ مراحل ما بين بِركتها و بينَ عَريشِها
٨. حتى حَفِظتَ على العبادِ بلادَها مِن رومِها الأقصي إلى أُحبوشِها
٩. فرشَت حماةُ لِوَطءِ نعلِكَ خدَّها فوطِئتَ عينَ الشمسِ مِن مَفروشها
١٠. و كذا المعَرَّةُ إذ مَلكتَ قيادَها دهشَتْ سروراً سارَ في مَدهوشِها
١١. لازلتَ تُنعِشُ بنوالِ فقيرها و تَنالُ أقصى الأجرِ مِن منعوشها

(المصدر نفسه، ص١٥٦)

شرح الأبيات

١. رُعتَ العِدي فَضَمنتَ ثلَّ عروشِها و لقيتَها فأخذْتَ فلَّ جيوشها

المفردات: رُعتَ: أفزعتَ و أخَفتَ/ العِدَي: مفردها: العدوّ/ ثلَّ العرشَ: خرَّبه و أذهب سلطانَه/ فَلَّ الجيشَ: هزمه و قَضَي عليه.

شرح البيت: أيها الملك الشجاع انّك انت الذي أفزعت الأعداء و التزمتَ أن تُخرِّبَ عرشَ مُلكِها فحينما لقيتَ العدوَّ هزمتَ جيوشَه كلَّها و أهلكتَ ما بقيَت منها مهزومةً.

٢. نازلتَ أملاكَ التتارِ فأُنزِلَت عَن فَحلِها قسراً و عَن إكديشِها

المفردات: نازلتَ: قاتلتَ/ الفحل: الذكر القويّ مِن كلّ حيوان/ الإكديش: الفرس غير الأصيل/ قسراً: مُجبَراً و مُرغَماً، مِن غير إرادته
شرح البيت:هجمتَ علي مُلك التتار و قتلتَ فُرسانَها فهؤلاء الفرسان قد ترجّلوا من مَراكبِهم الاصيلة و غير الأصيلة مُرغَمين مُجبَرين.

٣. فغدا لسيفِك في رقاب كُماتِها حَصدُ المناجِلِ في يَبِيسِ حَشِيشِها
المفردات: الرقاب: مفردها: الرقبة/ الكُماة: الفُرسان الكاملوا السلاح مفردها: الكميّ/ المناجل: مفردها: المنجل و هو آلةٌ لِحَصد الزَّرع أو العُشب/ اليَبيس: اليابِس
معني البيت: و سيفُك يقطع رقاب الفُرسان الشجعان مِن الأعداءِ كأنّه منجلٌ يحصد الحشيشَ اليابِسَ حَصداً.

٤. رَوَّيتَ أكبادَ القَنا بدمائِهم لَمّا أطالَ سِواك في تعطيشِها
المفردات: رَوَّي: سَقَّي/ القَنا: الرماح
معني البيت:كانت رماحُ الجيوش عطشانةً إلي دماءِ الأعداء لكنَّك سقّيتها بعد طول عَطَشِها مِن قِبَلِ غيرك.

٥. أقدَمتَ مُقتَحماً على نُشّابِها تكسو الجيادَ رياشَها مِن ريشِها
المفردات: أقدمتَ مقتحماً: دخلتَ بقوّةٍ و عُنفٍ/ النُّشاب: مفردها: نشّابة و هي الرماح و السهام/ الجياد: مفردها: الجواد و هو النجيب من الخيل/ الرّياش: مفردها الريش و هوكسوة الطائر، و يعني اللباس الفاخر أيضاً.
يقول الشاعر: هاجمت على العدوّ بالرماح العالية هجوماً عنيفاً و كسوت خيولَ الأعداءِ مِن ريش هذه السّهام بحيث إختلط ريشها بها.

٦. دارت رَحَي الحربِ الزَّبونِ عليهمُ فغدتْ رؤوسُهُمُ حُطامَ جَرِيشها
المفردات: رحي: أداةٌ يُطحَن بها، و هي حَجَران مُستديران يُوضَع أحدهما على الآخر و يُدار الأعلى على مِحوَر ثابت/ الحرب الزبون: الحرب الطّاحنة التي فيها صدام شديد/ الجريش: كلُّ حَبٍّ طُحِنَ طَحناً غير ناعم.
معني البيت: نشبَت الحرب عليهم عنيفةً فأصبحت رؤوسُ الأعداءِ تحت رحي الحرب حَبّاً مسحوقاً.

٧. و طويتَ عن مِصرٍ فسيحَ مراحلٍ ما بين بِركتها و بينَ عَريشِها
المفردات: طَوَي: ضَمَّ أو لَفَّ بعض الشيء على بعضه/ العريش: بناءٌ مؤلَّف مِن عَوارض مِن حديد أو خشب محمولة على عواميد، تعترشه النباتات المتسلّقة.
شرح البيت: أيّها المَلِك الشجاع إنّك قد ضممتَ مملكة مِصرَ جميعاً إلى ملكِك و مناطِقَها العامرةَ مِن بِرَكِها و أحواضها إلى أراضيها الخصبةِ ذات الاشجار و البناتات المتسلّقة.

٨. حتى حَفِظتَ على العبادِ بلادَها مِن رومِها الأقصى إلى أُحبوشِها
المفردات: الأحبوش: بلاد الحبشة
معني البيت: و انّك انت الذي حفظتَ البلادَ مِن هجوم الأعداءِ الاجانب كالروم و الحبشة

٩. فرشَتْ حماةُ لِوَطءِ نعلِكَ خدَّها فوطِئتَ عينَ الشمسِ مِن مَفروشها
المفردات: حماة و عين الشمس: اسم مدينتان في سوريا / الوطء: الدَّوس، وضع القدم على.
يقول الشاعر أنّ بلد سوريا مفروشة تحت قدمَيك فحماة فرشتْ خدَّها و عين الشمس فرشت عينَها.

١٠. و كذا المعَّرةُ إذ مَلكتَ قيادَها دهشَت سروراً سارَ في مَدهوشِها
المفردات: المعرَّةُ: مدينةٌ في سوريا / سار في: نشي نشوةً، سَكِر
يقول الشاعر: و لمّا استوليت على المعرّة و ملّكتَ مفاتيحَ مُلكِها شَعَرَ ساكنوها بفرحٍ شديدٍ حتى النّشوةِ.

١١. لازلتَ تُنعِشُ بنوالِ فقيرها و تَنالُ أقصي الأجرِ مِن منعوشها
معني البيت: إنّك تُحيي الفقراءَ بجودِك و كرمِك، فلازلتَ تدوم عليه، فاللّهُ يعوِّضُك أجراً عظيماً.

الدّرس الثاني

«شوقي إلى بَرَدي» لشهاب‌الدّين التلعفري (٥٩٣-٦٧٥هـ)

«هو شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري، ولد بالموصل سنة ٥٩٣هـ و توفي سنة ٦٧٥هـ».

نسب الى «تل اعفر» في الموصل بين سنجار و الموصل. (خفاجي، محمد عبد المنعم، ص٨٩)

اتصل بالملک الاشرف موسى حاكم العراق لمدة، بقي هناک شاعراً فطرد الى حلب فلجأ الى دمشق فحماة و كان مولعاً بلعب القمار الذي سبب طرده. فذهب الى الملک العزيز غياث‌الدين ابي المظفر لكن خرجه مرة اخرى بذلک السبب و انطلق الى الشام. ذهب الى حماة في آخر حياته نادماً صاحبها الملک المنصور، الى آخر عمره.

له ديوان شعر مطبوع و اكثر شعره الغزل و النسيب و المدح و الخمر و وصف الطبيعة و ايضاً الموشحات و المدح و الوصف. هو شاعر مطبوع وجداني، مائلاً الى السهولة الشعرية. لكنه الاتجاه العام السائد آنذاک يتجلي في شعره ايضاً و يشاهد فيه ميولة الى استخدام الصناعات البديعية كالطباق و الاقتباس و... الا انه لم يخوض فيها و طبعه السليم ادى الى بُعده عن الاسراف في كل ذلك.من غزلياته:

لولا بروق بالعقيق تلوح تغدو علي عذباته و تروح
مازاد قلبي لوعة كلا و لا ادمي خدودي دمعي المسفوح
ويح الصَبا، حتام يذكرني الصِبا منها ينمّ كالعبير يفوح

فنشاهد في هذا الغزل، غرارته للشعراء القدامي و الاساليب الجاهلية و من خمرياته:

نهاري كله قلق و فكر و ليلي كله ارق و ذكر
تقسيمني الهوي كمداً و حزناً فامرهما لحتفي مستمر
فقم نخطب عروساً ببنت كرم لها الاموال و الالباب مَهر

يقول التلعفري و قد هاجت الأشواقُ في قلبه حنيناً إلي دمشقَ:

١. يهيجُ بالنيل بي شوقي إلى بَرَدي إنّي و مِن بردِهِ ظمآنُ لهفانُ
٢. اللهُ يا ورقُ في عاني الحشا وصبٍ صبٍّ له مِن رُبا جَيرونَ جيرانُ
٣. يقول و هو بمصرٍ عند حاجِرِها ليس اللّبانةُ إلا حيثُ لبنانُ
٤. تلك الجنان التي حيثُ التفتَّ تري قصراً مشيّداً بِهِ حورٌ و وِلدانُ
٥. تدعوك فيها إلى اللذات أربعةٌ بيعُ الحياةِ بها ما فيه خسرانُ
٦. ظِلٌّ ظليلٌ و ماءٌ باردٌ غَدِقٌ و جوسقٌ مشرِفٌ عالٍ و بستانُ

شرح الأبيات

١. يهيجُ بالنيل بي شوقي إلى بَرَدي إنّي و مِن بردِهِ ظمآنُ لهفانُ

المفردات: هاج:ثارَ، تحرّك بقوّة/ بَرَدي: إسمُ نهرٍ في دمشق/ ظمآن: عطشان/ لهفان: متلهّف مشتاق

يقول الشاعر و هو بمصر: إنّي برؤية النيل أتذكّر نهر بردي في دمشق و يهيجُ عواطفي إليه كما أتعطّش إلى مائِهِ البارد و أشتاقُ إشتياقاً.

٢. اللهُ يا ورقُ في عاني الحشا وصبٍ صبٍّ له مِن رُبا جَيرونَ جيرانُ

المفردات: الورق: الحمام/ العاني: المريض المتعب/ الحشا: ما إنضمّت عليه الضّلوع، كلُّ من الأعضاء الموجودة في تجاويف الجسم كالقلب و الطحال و الكبد و.../ الوصب: الوجع و المرض/ الصّب: المُحِبّ و المشتاق/ الرُّبا: مفردُها الربية و هي التّلّ/ جيرون: يقصد دمشق.

ينادي الشاعرُ اللهَ مخاطباً الحمامةَ و يقول: يا له مِن مرضٍ موجعٍ في أحشائي و حبٍّ شديدٍ إلى إحدي جاراتي الساكنة في دمشق فوق التلال و الأراضي الخصبة.

٣. يقول و هو بمصرٍعند حاجِرِها ليس اللّبانةُ إلا حيثُ لبنانُ
المفردات: الحاجِرْ: المانع، الحاجز/ اللُّبانة: الحاجة.
يقول الشاعر في مصر و هي حاجزةٌ بينه و بين مدينته الحبيبة إنّني لا أشعر بحاجةٍ إلا زيارة لبنان.

٤. تلك الجنان التي حيثُ التفتَّ ترى قصراً مشيّداً بِهِ حورٌ و وِلدانُ
معني البيت: تلك الحدائق و البساتين التي حين تنظر إليها ترى فيها قصوراً معمّرةً و حصينةً تعيش فيها حور الجنّة و وِلدانها المخلّدون

٥. تدعوك فيها إلى اللذات أربعةٌ بيعُ الحياةِ بها ما فيه خسرانُ
معني البيت: و في هذه الجنان تُناديك أربعةُ أشياء إلى التّمتُّع باللّذات و هذه الأربعة تُعادل الحياة كلَّها بحيث لا تخسر في مبادلتها بها.

٦. ظِلٌّ ظليلٌ و ماءٌ باردٌ غَدِقٌ و جوسقٌ مشرِفٌ عالٍ و بستانُ
المفردات: الظّل: الفَيء / الظليل: دائم الظّل، وافر الظّل / غَدِق: غزير ـ الجَوسق: القصر.
معني البيت: هذه الاربعة عبارةٌ عن الظِّل الوافر و الدائم للأشجار الموجودة و الماء البارد الوافر الجاري تحت الأشجار و البساتين و الحدائق المُثمِرة و الأخيرُ قصرٌ مشيّدٌ عالٍ بين هذه الأشجار.

الدّرس الثالث

«البردة» و «المحمّدية» لشرف‌الدّين البوصيري (٦٠٨-٦٩٥ هـ.ق)

اشتهر شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري بمدائحه النبوية، التي ذاعت شهرتها في الآفاق، وتميزت بروحها العذبة و عاطفتها الصادقة، و روعة معانيها، و جمال تصويرها، و دقة ألفاظها، و حسن سبكها، و براعة نظمها؛ فكانت بحق مدرسة لشعراء المديح من بعده، و مثالا يحتذيه الشعراء لينسجوا على منواله، و يسيروا على نهجه؛ فظهرت قصائد عديدة في فن المدائح النبوية، أمتعت عقل و وجدان ملايين المسلمين على مرّ العصور، ولكنها كانت دائمًا تشهد بريادة الإمام البوصيري وأستاذيته لهذا الفن بلا منازع.

الف) حياته

ولد البوصيري بقرية «دلاص» إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر، في (أول شوال ٦٠٨ هـ = ٧ من مارس ١٢١٣م) لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة «صنهاجة» إحدى قبائل البربر، التي استوطنت الصحراء جنوبي المغرب الأقصى، و نشأ بقرية «بوصير» القريبة من مسقط رأسه، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة حيث تلقى علوم العربية والأدب.

و قد تلقى البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره؛ فحفظ القرآن في طفولته، و تتلمذ على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين، منهم:

أثيرالدين محمد بن يوسف المعروف بأبو حيان الغرناطي، وفتح الدين أبوالفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس... و غيرهما.

تُوفِّي الإمام البوصيري بالإسكندرية سنة (٦٩٥هـ - ١٢٩٥م) عن عمر بلغ ٨٧ عامًا.

ب) أعمال البوصيرى نثراً وشعراً

ترك البوصيري عددًا كبيرًا من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه «محمد سيد كيلاني»، و طُبع بالقاهرة سنة (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥م)، و قصيدته الشهيرة البردة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، والقصيدة «المضرية في مدح خير البرية»، والقصيدة «الخمرية»، و قصيدة «ذخر المعاد»، و لامية في الرد على اليهود والنصارى بعنوان: «المخرج والمردود على النصارى واليهود»، و قد نشرها الشيخ «أحمد فهمي محمد» بالقاهرة سنة (١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣م)، و له أيضا «تهذيب الألفاظ العامية»، و قد طبع كذلك بالقاهرة.

بردة البوصيري

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية، و معرفة دقائق أخبار النبي (صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم) و جامع سيرته العطرة، و أفرغ طاقته و أوقف شعره و فنه على مدح النبي (صلى‌اللّه‌عليه‌وسلم)، تُعد قصيدته الشهيرة «الكواكب الدرية في مدح خير البرية»، والمعروفة باسم «البردة» من عيون الشعر العربي، و من أروع قصائد المدائح النبوية، و درة ديوان شعر المديح في الإسلام، الذي جادت به قرائح الشعراء على مرّ العصور، و مطلعها من أبرع مطالع القصائد العربية، و هي قصيدة طويلة تقع في ١٦٠ بيتا. يقول فيها:

أَمِنْ تذكّر جيرانٍ بذي سلم مزجتَ دمعًا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريحُ من تلقاء كاظمةٍ و أومضَ البرقُ في الظلماء من إضَم
فما لعينيك إن قلت اكففا همتا و ما لقلبك إن قلت استفق يهم